عدد ٧٢٨٠ السبت ١٤ ذي القعدة ١٤٢٠هـ - ١٩ فبراير ٢٠٠٠م

كيفية تحقيق نهضة تكنولوجية عربية حقيقية *

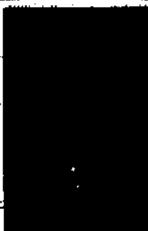

طلال أبو غزالة

في مؤتمر حول التجارة الالكترونية والملكية الفكرية عقدته المنظمة العالمية للملكية الفكرية (الويبو) في سبتمبر ١٩٩٩ في جنيف. أتيحت لي فرصة تبادل الرأي مع جون بيمبوب رئيس مجلس الإدارة والمدير التنفيذي لشركة سليكون جرافيكس حول الرؤية المستقبلية للتقنية والى أين ستؤدي بنا الألفية المقبلة.

دعونا أولاً نتفق على تعريف للتقنية. بالنسبة لي تعني التقنية كل شيء تم اختراعه منذ مولد البشرية، وهي تشتمل على عصا السير، واحمر الشفاه، وأصابع الديناميت. الخ.

ودعونا أيضا نتذكر ان التقنية لا تسير الى الخلف بل انها تنطلق دائماً الى الأمام حيثما كانت. اما الآن ونحن على مشارف الألفية الجديدة فإن هذا التطور قد تحول الى ثورة من المعرفة تسير بنا نحو عالم جديد دون حدود او قيود او خيارات غير محققة ونحو الطريق الذي ينتقل بنا من التنظيم الديمقراطية الوطنية الى نظام ديمقراطي عالمي موحد.

ان سرعة التحول هي ليست كأي شيء آخر من قبل فمثلاً استخدمت البشرية هذا العام طاقة من الحاسبات الالكترونية تزيد عن مجموعة ما تم استخدامه في السنوات السابقة مجتمعة. وبالنظر الى المستقبل فإننا نتوقع خلال السنوات العشرين المقبلة عمليات للحاسوب والاتصالات زهيدة التكلفة ولن يكون هنالك كوكب واحد وعبر شبكة معلوماتية واحدة وهي عالم المعلومات INFOSPHERE المعلوماتي المعلومات. اننا سوف نعيش في محيط لا نهاية له من المعلومات. وسوف تستمر المواد شبه الموصلة فقط لمدة عقدين من الزمان بعدها سيتم تشغيل الاجهزة اتوماتيكياً.

وسوف تتم الخدمات الخاصة بالتجارة والصحة والتعليم والترفيه والخدمات الحكومية من خلال شبكة الانترنت. الكتب والأفلام والموسيقى والفيديو.. الخ.

ان التقنية كما جرى تعريفها في مستهل حديثي سوف تتحول الى النظام الرقمي الجديد، وكثير منا قد لا يعجبه هذا العالم الجديد الجريء. ان مثل هذا التساؤل هو مجرد تساؤل افتراضي مثلما لو تساءلنا هل تحب او لا تحب اقتناء أجهزة إذاعية او طوابع بريدية او سيارات ليموزين.

ان المستقبل قد أصبح بين أيدينا بالفعل ويجب علينا ان نجهز أنفسنا بالسرعة الممكنة لاستخدام الأرقمية والحدة لكافة وسائل الاتصال، حيث سيكون بحوزتك قريباً بطاقة هوية يمكن استخدامها في أي مكان من العالم ولكافة الأغراض.

ان تقنية المعلومات الذكية هي أيضاً على الأبواب التي تؤدي لنا كافة الأعمال ببساطة ويسر أكثر مما يؤديها الكثير منا على هذا النحو: [illegible]

فكيف يجب ان نتوقع كل شيء رقمية فنحن نتحدث خلال عشرين عاماً عن تحسن في القيمة والأداء في مليون ضعف، والأفضل لنا ان نؤمن بذلك. حاول فقط ان تنظر الى أي مدى وصلنا في عشرين عاماً.

وأشير هنا الى ان التقنية ليست ظاهرة مضافة بل هي غالباً ظاهرة متضاعفة ومتفاعلة، فأي اختراع نتوصل اليه يحفز بعدة اختراعات أخرى جديدة.

وسوف تصبح الملكية الفكرية الرقمية جوهر التجارة الدولية، والملكية الفكرية تمثل اليوم ٢٠٪ من تجارة العالم، ولكنها يجب ان تمثل ٥٠٪ منها على الأقل مع حلول منتصف القرن المقبل.

ومن الممكن نسخ الملكية الفكرية الرقمية (digital) (IP) بشكل كامل الاتقان المرات لا حصر لها. في حين ان الملكية الفكرية المناظرة (analog) قد تمنح قيمة أعلى للأصل. إلا ان الملكية الفكرية الرقمية يمكن سرقتها وتقليدها دون ترخيص. ومن هنا فهي تحتاج الى الحماية من خلال التقنية نفسها بوسائل مثل التشفير.

وسوف تصبح التجارة الالكترونية بعد عشرين عاماً هي السوق العالمية للتجارة. وسوف يحدث ذلك وأنتم على قيد الحياة. ان شاء الله. كما سوف يتيح لكم ذلك فرصاً غير محدودة.

ان التقنية والملكية الفكرية تتطوران معاً بشكل مترافق ومتداخل. انظر الى النمو والتطور الذي طرأ على حقوق الطبع في مجالات الطباعة والتسجيل والتوزيع والأفلام والراديو والتلفزيون والفيديو ووسائل الاتصالات وخلافه.

هل ستنجو الملكية الفكرية من تحديات الألفية المقبلة في مجالات الإنترنت واعصار تقنيات الألفية المقبلة؟ والاجابة هي ان الملكية الفكرية لن تنجو فقط وانما سوف تؤدي بها تلك التقنيات الى مزيد من الازدهار.

ومع نهاية القرن المقبل سوف تركز التقنية على العقل الذي يمكن، بحمد الله، إدراك امكاناته وجوانبه الكامنة غير المحدودة.

ومع نهاية القرن المقبل أيضاً سوف تؤدي بنا الثورة المعلوماتية الى ثورة في المعرفة ومنها نعبر الى ثورة أخرى هي ثورة الحكمة. وأدواتنا في الوقت الحاضر هي الانترنت والآلات الذكية وأيضاً الحلقة الواقعية. تلك انه في الألفية المقبلة سوف لا تكون لدينا فقط معلومات ذكية وانما آلات ذكية يمكن محاكاتها.

إن كل هذا جميل ورائع جداً، إلا ان هذا ليس كل شيء. ان عالم المعلومات (INFOSPHERE) الذي نسعى وراءه يثير لدينا مخاطر كوننا عالم الألفية المتطورة، وما لم نستطع عبور الفجوة بين تكنولوجيا الـ ٢٠ و الـ ٨٠٪ من سكان العالم فسوف ينتهي بنا الأمر هنا الى عالم [illegible] غير محدود.

ولهذا، ونيابة عن الدول النامية أود ان أوجه نداء الى الدول المتقدمة وفي مقدمتها الولايات المتحدة وأقول لهم:

لا تتصالحوا السلم ثم تطالبوا به من خلفكم حتى لا يتهمكم أحد فهنا لن يجلب لكم المنافع. ولا أمل.

وإذا ما حصل استيعابنا من عالم المعلوماتية INFOSPHERE فسوف تتركون مع الأسف ان ذلك كان قصر نظر من جانبكم ويشكل خطأ جسيماً. كما ان ذلك سيؤدي الى تنامي بذور النزاع بين عالمنا وعالمكم فإن الطرف الثالث سيواجه تهديداً قوياً وهو ان يتحول الى طرف دائم، لا سمح الله بذلك.

صناعة المعرفة

ان صناعة المعرفة هي صناعة المستقبل والطريق الى ثروة المستقبل. ذلك ان البشرية ومنذ العصر الحجري قد مرت بتطورات او ثورات متعددة كان آخرها الثورة الصناعية. وها نحن نعيش الآن عهد ثورة جديدة: ثورة المعرفة. واذكر هنا أغنى رجل في العالم بيل جيتس هو عامل في مجال المعرفة وليس في الصناعة او البترول او التجارة او النفط. والتوقعات تشير الى ان أغنى أغنياء العالم في بدايات القرن المقبل سيكونون في أغلبهم ان لم يكن جميعهم من عمال المعرفة.

لذلك أجدد مرة واحيي ان اقول بالصوت الخطير بأن مصادر الثروة التقليدية سوف تتلاشى في الأهمية أمام مصادر الثروة المعرفية. ولعل أخطر تحد لتواجهه عملية التقييم العربي هو هذا التحول الذي سوف يسلبنا قيمة ما تبقى من ثروات عربية من خلال انبعاث ثروة جديدة ثروة يستطيع ان ينتجها ويملكها من يملك تقنية المعرفة أينما كان. ولذا فإنني سأسعى لأن أتناول مع زملائي وأساتذتي وأبنائي الآن وفي كل مناسبة مقبلة كل موضوع ذو طابع معرفي وذا أثر جوهري على مستقبل أمتنا العربية في خضم التطورات الدولية المتسارعة والشاملة والجارفة.

فالعولمة، وتحرير التجارة، وإعادة صياغة مفهوم الحكم والديمقراطية الكونية، والنظام العالمي الجديد، والتجارة الالكترونية، وحماية الملكية الفكرية والتكتلات الاقتصادية، وثورة المعلومات، وغيرها كثير ما هي إلا بعض من مكونات مجتمع المعرفة الجاري صياغته من خلال صناعة المعرفة.

أعود فأقول.. ان مصادر الثروة التقليدية آخذة بالتلاشي امام ثروة المعرفة وإنما أعتبر مداخلتي اجتهاداً في كيفية دخولنا مجتمع المعرفة، مجتمع التقدم التقني والتنمية الصناعية، طريق المستقبل الى الثروة. وهو طريق شاق طويل ولكن لا بديل عنه. فليست هناك وصفة سحرية تنقلنا من النامية الى المتقدمة.

ولذلك أرى ان علينا العمل على ستة محاور رئيسية:

أولاً: تطوير [illegible] حقوق الملكية الفكرية من اختراعات وعلامات تجارية وحقوق المؤلفين وغيرها من عناصر المعرفة، لأن هذا النظام شرط لازم للتشجيع على الابداع والاستثمار فيه لغرض استغلاله تجارياً، وبذلك فقط يتحقق التقدم وليس العكس كما يشاع. ان التنمية الاقتصادية لا تتم إلا في بيئة الحماية الكاملة لحقوق الملكية الفكرية. تلك هي رسالة المجتمع العربي لحماية الملكية الفكرية، ذلك اننا نؤمن بأن الانسان العربي قادر على الابداع والمنافسة كأي انسان آخر في ظل نظام متوازن إذا ما توفرت له الظروف المشجعة على الابداع.

ثانياً: الاسراع في تحرير التجارة للاستفادة من المزايا المتاحة من نظام اتفاقيات السوق وسمو التجارة الطليقة [illegible] وخدماتها وبدلاً من البكاء على السلبيات فقط، علينا مواجهة تلك السلبيات خصوصاً شروط اتفاقية الجات حول الحماية الممنوعة والدعم المباشر الممنوع. واسهاماً في الاعلام عن تلك التحديات يصدر المجمع العربي للإدارة بالتعاون مع المنظمة العالمية للتجارة دليلاً عن اتفاقات تحرير التجارة كأول اصدار رسمي بالعربية يصدر عن منظمة التجارة العالمية. واسمحوا لي ان ألفت النظر هنا الى ان التجارة العالمية في الخدمات تشكل ما نسبته ٢٠٪ من مجموع التجارة العالمية والبالغة سبعة تريليونات من الدولارات سنوياً في حين انها تمثل ٨٠٪ من الناتج القومي للدول المتقدمة، وبالتالي فإن النمو المستقبلي في التجارة العالمية سيتركز في تجارة الخدمات لتأخذ مكانتها المناسبة. كما انها ستكون محور الجولات القادمة لمفاوضات تحرير التجارة التي نتابعها عن كثب.

ثالثاً: تطوير التشريعات الضرورية لانتقال التقنية عبر اتفاقية التراخيص والامتياز وغيرها كمرحلة انتقال ضرورية لتطوير تقنية وطنية متقدمة كما فعلت الدول التي سبقتنا، بدلاً من اعتبار تلك التقنية المستضافة عدواً لصناعتنا الوطنية، وإيجاد تشريعات تشجع الاستثمار في البحث العلمي اللازم للتقدم التقني. ويسعى المجمع العربي لحقوق الامتياز ونقل التقنية لإقامة ما أسماه بتقنية نقل التقنية، وذلك ايماناً منا بأن التقنية الوطنية لا تقوم إلا من خلال اقامة عناصر تواجدها ومن خلال التكامل والتعاون التقني الدولي.

رابعاً: تكثيف الجهود لإقامة منطقة تجارة حرة عربية (وليس شرق أوسطية) تدعيماً لنمو التجارة العربية البينية سوقنا الأساسي والأجدى اقتصادياً لكل دولة عربية ومنعاً لاستمرار الشتات في توجهاتنا الاستراتيجية في حديث لا جدوى منه عن سوق أوسطية، ليبها الضرر لاقتصادنا العربي. وذلك الهدف القومي النبيل يجب ان يكون في مقدمة استراتيجيتنا الاقتصادية العربية. [illegible] ان يشكل ٧٢٪ من وارداتنا صناعية و[illegible] من صادراتنا النفطية وتجارتنا البينية ٨٪ فقط. ان تعزيز التجارة البينية العربية وبسرعة هو مطلب قومي أساسي.

خامساً: اقامة البنية التحتية المعلوماتية العربية (كالأمريكية والأوروبية) Global Information Infrastructure الضرورية للتجارة العالمية المستقبلية Electronic Commerce والتي أصبحت قدرنا الجديد المحتوم وذلك كي لا يفوتنا قطار المستقبل مرة أخرى. واتخاذ الاجراءات اللازمة لمواجهة تحدياتها الاجتماعية والأمنية والثقافية والاقتصادية والسياسية. وهو موضوع يستحق عقد ندوة خاصة. وأذكر هنا بالسياسة التي رسمها الرئيس الأمريكي في اقراره الصادر في ١٩٩٧/٧/١ لوضع النظام الكوني للتجارة الالكترونية. وأنا أزعم انه لن تكون هناك أية تنمية اقتصادية عربية مستقبلية في غياب التجارة الالكترونية العربية. وتشعر مجموعة أبوغزالة الدولية بمسؤولية خاصة تجاه هذا المستقبل الذي لا بد من مواكبته. ومن خلال مشاركتي في اجتماع خبراء جدول الاعمال المستقبلي لعالم التجارة الالكترونية فيما يعرف بالسايبرسبيس (Cyberspace) فإنني أحث على حضور عربي ودور عربي ومواكبة عربية لتجارة المستقبل، التجارة الالكترونية، والتي أصبح حجمها مئات الملايين سنوياً.

سادساً: وضع وتنفيذ خطة تعليمية جديدة لمحو أميتنا الجديدة فالتعريف الحديث للإنسان الأمي هو من لا يتقن التعامل مع المعلوماتية بمعناها المتكامل شاملاً الانترنت والاتصالات المتعددة والجاري حديثاً دمجها كلها في وسيلة اتصال واحدة Multi-media. ولنا في الخطة الخمسية لمحو الأمية الجديدة توفير جهاز انترنت وخبرة استعماله تجارياً في كل شركة ومنزل، في موقع كونج خير مثال. ويعمل المجمع العربي للمحاسبين القانونيين في مجال اختصاصه في هذا الاتجاه إذ أقام مشروعاً عربياً لتحديث التعليم المحاسبي بشكل شامل يتوافق مع ما يجري صياغته في اللجنة الدولية للمؤهلات المحاسبية والاعتراف التي أبذل لها الكثير من الجهد من موقعي في رئاستها، تلك اللجنة المعنية بوضع معايير دولية تحكم التجارة في الخدمات المهنية.

سابعاً: العمل وبسرعة على الاستثمار لتطوير قدراتنا الزراعية ومواردنا المائية فلا يجوز ان يستمر استيرادنا لما قيمته ٢٤ مليار دولار من المنتجات الزراعية والعجز البالغ عشرة مليارات دولار بين وارداتنا وصادراتنا الزراعية سنوياً. كما لا يجوز ان نقف متفرجين على النقص في مواردنا المائية ذلك ان احتياجاتنا تبلغ ١٥٠ مليار متر مكعب سنوياً واستغلالنا الحالي لا يزيد عن ثلثها. ويجب ان نتذكر دوماً ان من لا يملك الغذاء لا يملك الأمن.

نحن العرب امام تحد حضاري جديد أقول انا قادرون على الانتصار فيه إذا عقدنا العزم [illegible] لتحقيق الانتصار والا فإننا سنتكلم في ندوات مقبلة عن استحالة المنافسات [illegible] تحول تلقية بل تحول ظرف. ولقد ذكرت في مناسبات سابقة وأكرر الآن ان انسان المستقبل سيكسب رزقه من عرق فكره وليس من عرق جبينه.

وقريباً تتغير أدبيات الرزق، كما تغيرت أدبيات السلام. وقريباً سوف نتحدث عن عرق المعرفة بدلاً من عرق الجبين، لأن الرزق في القرن المقبل سيكون حكراً على صناع المعرفة. وصدق قوله تعالى يوماً اذ أمرنا وقل رب زدني علماً.

وانه لأمر ذو دلالة ان تنعقد مثل هذا اللقاء هنا في هذا الوقت بالذات وفي ظل القلق القائم في المنطقة ونحن ذلك نطل من هنا من هذه الأرض الطيبة من جمهورية مصر العربية. اصرارنا على [illegible] كعرب في التقدم مهما كانت الظروف مؤشر بأن الأزمات لا بد ان تمر بشكل او بآخر ويظل [illegible] تحت اصرارنا على حقنا في ان نستعيد مكانتنا في مجتمع المعرفة الجارية بلورته بعد ان كنا وللقرون طويلة منبعاً للمعرفة وقادة لها.

ورغم ايماني بالسلام العادل والشامل على أساس استرداد الحقوق الكاملة، الا انني ازعم ان انتظار تحقيق السلام لتحقيق الازدهار وهم. ولا أريد فقط ان استذكر ازدهار الاقتصاديات العربية في تاريخ [illegible] بل أشير الى ان السلام لم ولن يحقق في ذاته أي ازدهار بالنسبة للدول التي دخلت في دوامة السلام. ان الازدهار هو نتيجة مجموع ما يقدمه المجتمع من انتاج في ظل أي وضع سياسي وتوقعات ازدهار السلام خدعة ووهم.

ان نقاط التحول المهمة في التطورات التقنية لا يمكن إدراك كامل أبعادها أثناء تطورها. ففي مطلع هذا القرن قررت ستودبيكر Studebaker الانتقال من صناعة العربات التي تجرها الخيول الى صناعة السيارات. مع ذلك لم ينتبه أحد الى أهمية هذه الخطوة في حينه لأن سكان نيويورك في السنوات الخمس السابقة على ذلك اشتروا ٣٠٠١ ألف عربة في حين لم يشتروا إلا ١٢٥ سيارة فقط.

هذه المشكلة، مشكلة عدم التقييم السليم لواقع الأمور، تمس كل التطورات الحديثة. ان ثورة المعلومات لم تحدث بالأمس، فهي قد بدأت تسير بخطى بطيئة من اختراع التليفون. ومع ذلك لم يدرك أحد ماذا سيكون عليه الحال خلال السنتين او الثلاث المقبلة، واننا نعلم اننا على أعتاب ثورة شاملة في عالم المعرفة والاتصالات والتغيرات الاقتصادية.

* ورقة قدمها رئيس المجمع العربي لحماية الملكية في معرض القاهرة الدولي للكتاب